Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٩) القاضي الفاضل

كاتب الديار المصرية، وصاحب الطريقة الفاضلية، أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف، علي بن محمد البيساني؛ نسبة إلى بيسان، إحدى مدن فلسطين التي ولي نيابة حكمها زمناً من قبل الفاطميين[١].

ولد القاضي الفاضل بمدينة «عسقلان» سنة ٥٢٩، وكان أبوه ـ إذ ذاك قاضياً عليها[٢]. . ، وفي كنفه ورعايته، نشأ نشأة دينية أدبية؛ أهلته لأن يتسنم ذروة الكتابة في عصره، فقد ألحقه ابوه «بديوان الإنشاء» في مصر سنة ٥٤٣؛ ليتخرج في الكتابة على يد كبار المنشئين، كابن قادوس الأديب المشهور، وابن الخلال رئيس الديوان. . . يقول القاضي الفاضل: (فلما مثلت بين يديه ـ يريد ابن الخلال ـ وعرفته من أنا، وماطلبتي، رحّب بي وسهل، ثم قال لي: ما أعددت لفن الكتابة من الآلات؟، فقلت: ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة. فقال: في هذا بلاغ. ثم أمرني بملازمته، فلما ترددت إليه، وتدربت بين يديه، أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة، فحللته من أوله إلى آخره. ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته)[٣]. .

حدث ـ في هذه الأثناء ـ أن نشب خلاف بين أبيه وبين الوالي «المرتضى الطرابلسي» إنتهى باستدعائه إلى مصر، واستصفاء أملاكه، غير أن القدر لم يمهله طويلاً، فقد توفي سنة ٥٤٦، مما كان له أبلغ الأثر الحزين في نفس ابنه عبد الرحيم، ومن ثم ترك القاهرة وديوانها على الأثر ووجهته «ابن حديد» قاضي الإسكندرية، فلما عرفه بوالده ،استكتبه، وقدر له مرتباً مجزئاً[٤]، وظل في ديوانه، يكتب عنه كتباً لا عهد له بمثلها. . . وإذ كانت هذه الرسائل تصل القاهرة بقلم القاضي الفاضل، وتصادف هوى في نفوس ولاة الأمر، فيطلعون

---

(١) الفن ومذاهبه/١٩٤.

(٢) تاريخ آداب اللغة في العصر العباسي للشيخ الاسكندري /٢٦٢.

(٣) الوشي المرقوم /٩، وفيات الأعيان جـ ٧/ ٢٢٠.

(٤) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية (نهضة مصر)/٣٥٧